حانةٌ بعيدة

صالح العامري

حانةٌ بعيدة

شِعر

الكتاب: **حانةٌ بعيدة**
المؤلف: صالح العامري
شعر

الناشر:
جدار للثقافة والنشر | مالمو، الإسكندرية
info@jidar.net | www.jidar.net

توزيع
دار ريادة للنشر والتوزيع | جدة

الطبعة الأولى
الترقيم الدولي: 978-1-4466-8520-4
تصميم الغلاف والتصميم الداخلي: جدار للحلول المستدامة
جميع الحقوق محفوظة © 2024

شعراء. سلسلة شعرية تصدر عن دار **جدار** للثقافة والنشر وتُعنى بنشر قصيدة النثر لشعراء العربية. يشرف على إصدارها عبدالله الريامي و**خلف** علي الخلف و **حامد** بن عقيل.

لا يجوز، دون الحصول على إذن خطي من الناشر، استخدام أي من المواد التي يتضمنها هذا الكتاب، أو استنساخها أو نقلها، كليا أو جزئيا، في أي شكل وبأي وسيلة، أو تسجيلها أو استخدام أي نظام من نظم تخزين المعلومات واسترجاعها.

A DISTANT TAVERN

By: Saleh Al Amri

Poetry

Publisher: Jidar for Culture & Publishing

Interior and Cover Design: Jidar for Sustainable Solutions

Copyright © 2024 all rights reserved

ISBN: 978-1-4466-8520-4

المحتوى

أرجوحةٌ لا تعود إلى رشدها 9

سُرّة حزينة 11

تكعيبيّة 12

قهقهة وحشية 13

تحريض 15

على باب الشعر 16

الشاعر 18

عام الجوع 20

مَدْخنة 23

أشواق 24

عندما كنتُ الليل 26

حانة بعيدة 27

الفجر 28

الماموث والطائر 30

ويسكي 35

ڤودكا 37

إيميليبيس پيرسيفوني 38

أصابع 41

مرقاب 42

سلالم إلى أوفيليا 43

عينان صغيرتان 47

انكسار 48

إلى كريستينا ڤْلاد 50
خيط 54
مخرز 55
القباب 57
«علينا أن نزرع حديقتنا» 59
تناسل 60
وسادة الليل 61
خسارة 62
الأعداء أكثر أهمية 63
ها قد اخترقني جرحُكِ، ها قد نهبتني حُمّاكِ 65
إصبعك 66
ألفة 67
مصير 68
نبيذ 70
موعد الجبل (1) 71
موعد الجبل (2) 72
غفوة تحت شجرة الحب 73
عيدٌ عدميّ 74
قرصنة 75
قبلات مختَلَسة 76
إدمان 77
تحوّل 78
غرام 79

قُبلة متوحشة	80
خلود	81
نشيد سكران	83
حانة القراصنة	84
ارتجافة	86
حُلمٌ يأكلني	88
جُرحٌ يبرق في قلبي	90
صباح خالد	91
حادثة سطو	93
هدايا مسمَّمة	95
أمرّ على خمر قريتك	97
في خمر صوتك	99
صوتك الكمان الودود الذي يشعل المدينة	101
صوتك الذي يجرفني إلى الحديقة	102
صوتكِ الحقيقة الأخيرة	103
صوتك الذي أتسمّر على صليبه	104
صوتك المكتنز بالألوهة	105
ضالعاً في اللحن القديم	106
وحيدان هناك	111
لؤلؤة حارة في ضوء القمر	113

أرجوحةٌ لا تعود إلى رشدها

سُرّة حزينة

بعد غزوة الأحلام
بعد النهب الشهيّ
(الذي وجدتُني فيه قرباناً للحدائق المنسيّة والإشارات الغامضة)
لم يتبقَّ مني
سوى سُرّةٍ تتناهبها الأحزان
سُرّةٍ تتقافزُ
كأنّها هَباءٌ ماكر
كأنّها جَرَسُ قافلةٍ تتبختر في المنافي
سُرّةٍ تتقافز بُطَيْطةً من نار
ضلّت طريقها، خارج أي قطيع أو سرب،
طالعة من فمِ البركان

تكعيبيّة

جسدي إشارة
سَكْرتي طريق
رئتاي تشتبكان مع النجوم والكلمات
مرارتي تتخذ شكلَ صهيلٍ غائبٍ في الغيوم
طحالي في حانةٍ بحرية
يتقاسم الأنبذةَ مع إخوته الغجر والهيبيّين
رأسي حشيشة يدخّنها شاعرٌ يتأرجح في قلبه
عنقي لعبة قديمة تسبق الصحراء إلى وردة الشمس
أضلاعي مجردُ طائرة ورقية تفتح أشواقَها على المجهول
لساني أغنية باغتها القمر في ليليّات العشّاق
قلبي، قلبي اليتيم، يتطوّع برمحه الطويل
في الحرب الصفيقَةِ
ضدّ أعداء الحياة
ساقاي تعدوانِ في رئة حصان هاربٍ من القلعة
عيناي تبرقان في جزيرةِ المطر
أصابعي تداعبُ شَعرَ امرأةٍ غائبةٍ في حقلِ رُمّان
أنفاسي ظِلالٌ تشبه طيوراً بيضاءَ توشك على المحو
حدائقي في ثكنات الليل
تطلق فراشاتها المجنونة

قهقهة وحشية

لأنه لا جدوى من الرَّحم، من الحنان، من الكارثة، من الصيف، من السفر، من المدينة، من الرحيق، من الحريق، من النهدِ العاري، من العيد الكبير، من البوليس السريّ، من المضاجعة، من العدل، من الخيبة، من العزلة، من الليل، من النهار، من الأحذية الغليظة، من كيركجرد، من سارتر، من بوذا، من الراعي والذئب والخراف، من الأمطار، من الفيروسات والجراثيم، من الحبّ الأوّل، من العاصفة، من اللحى المصبوغة، من الحشيش والكوكايين، من الفستق واللوز والجوز والكستناء، من الركض والهُوينى، من التعثر، من الأمل، من الانتحاب، من الصفعة ومن الخدّ، من الأرجوحة، من اللغة العاوية، من المتنبي وبودلير، من المصانع التي لا تصنع شيئاً غير التلوّث، من الثرثرات التي مضى بها الوقت طويلا وهي تسند أيديها على ركبة الأمل المنحطّ، من الشيخوخة النابحة في الطفولة، من الطفولة المنزوية في وحل الصقيع، من البكاء الذي لا يُسْلِم إلى أيّ شيء، من الانتظار الذي لا يذهب إلى أيّ أحد، من الحنين الذي يذوب تحت سطوة الشمس اللاهبة، من الأسى الذي خبّلنا به الشعراءُ، من المنطق الذي جنّننا به الفلاسفة، من الضيم الذي لا يُرفع، من القُبلة التي لا ينبني بها كوكبٌ ولا تندلق بها سلّة النجوم، من اللهفة السافلة التي تسيل بعيداً عن أفواه الأطفال، من الربيع المنسحق تحت أقدام فيلق من الفيلة، من الجوهر الذي لا يتجوهر، من البذرة التي تتحرّق إلى شجرتها اليابسة، من الدرب الذي يصل خائراً في آخر المطاف، من الرحلة التي سرعان ما يبتلعها الطوفان

لأنّه لا جدوى من الغد واليوم والأمس، من البعيدين والقريبين، من اليمين واليسار، من حزب البعث ومن الحزب الشيوعيّ، من الإخوان المسلمين ومن رهط الأبالسة، من وُعّاظ الملوك، ومن الملوك، من الجبل والبحر، من التلعة الناهضة والمنحدر السحيق، من الفجر، من الشمس، من الأنهار، من السدود الجوفاء، من الحبر المُراق مثل لوعة أو حقل تحرسه الغربان

لأنّه لا جدوى من المرض والعافية، من الالتواء والاستقامة، من الأبيض والأسود، من العُرس والحِداد، من الأوّل والأخير، من الذهب والهشيم، من السراخس والأقمار،

لأنّه لا جدوى من الولادة ومن الموت، من الشهقة والشقوة، من الانتظار والانتحار:

لا بدّ من القهقهة الكبرى، لا بدّ من الانتصار بالحنجرة اليتيمة حتّى تتمزّق أو ترتقي صَعَداً إلى أبعد من أي سماء أو أرض، لا بدّ من تلك القهقهة المستشيطة، القهقهة المتشظية إلى أكوان ومجرّات تلقّح فجأةً أكواناً ومجرات حيّية ومنزوية وغير مولودة.

لا بدّ من تلك الصرخة المستعصمة بالحيوان الآيل للتلف، الصرخة التي تشقّ طريقها مباشرة إلى صماخ الحجر الكبير

لا بدّ من تلك الصرخة الوحشية،

المتقطّعة مِزَقاً،

المنحنية بمودّةٍ على الأعياد ذات الأسمال

تحريض

هذا ليس تحريضاً على أية حال،
لكن ينبغي على الشعراء أن يطلقوا النكات المقذعة على الشاعر الكبير
على الفنانين أن يهزأوا، بلغاتهم وتدرجاتهم اللونية، من الفنان الأعظم
على الفلاسفة، كي يخرجوا من السياق العُضال، أن يدحرجوا الوثن الذي قيّدهم في جنازة الإسطبل
على الطائر الصغير أن يرتطم منقارُهُ تماماً بتاج الهدهد
على المقصّ أن يفصل حُمّةَ العقرب
على المفتاح الرشيق أن يأكل الجدار
على المجانين أن يُفَعِّلوا الجنون هذه الليلة
على الأطفال أن يُباغتوا الوحش
على السكارى
أن يداهموا القلعة الحصينة

على باب الشعر

أقتربُ
من براهينِكَ وأرخبيلاتِكَ وندفِكَ الشهويّ؛
لأنّ قلبي يخفق في غيمة مهددة بالطوفان
لأنّ أصابعي تعابث قيثاراً مهجوراً على شاطئكَ
لأنّ رئتيّ أرنبان يقفزان من قفصي الصدري
جهة بياضِكَ السينمائيّ
لأنّ حُبّي الأخيرَ هو حُبّي الأوّل
لأنّ فخاخي كثيرة وعصفوري واحد
لأنّ قمري مجرّد عُواءٍ
يفتِلُ جسراً لسفنٍ هاربةٍ من الأعاصير
لأنّ نجمتي طفلة مشاغبة في المسرح
لأنّ فناري يأكل وجهي بلذاذة كما لو أنّه تفّاحة أو نبوءة
لأنّ أسلحتي مجرّد إشارة
لأنّ مدافعي ليست غير طوابع بريد
لأنّ نمري الورقيّ قد استدرجته غزالة الصباح إلى قلبها
لأنّ جداري له أجنحة
لأنّ أحصنتي تقود الدولاب المتغطرس إلى ديدن الأطفال

لأنّ نبيذي يستغيث بي من حدقات رؤساء التحرير
لأنّ نهري يجرفني بعيداً عن أصداغ مدراء المدارس
لأنّ أنبيائي حطابون في الظلام
لأنّ أرملتي تضّاحك من الحزن
لأنّ بُلبلي يرهف السمع إلى النهد المستيقظ للتوّ
لأنّ أضلاعي المتصالبة تسوق قطاراً مجنوناً
في لهفات المدينة
بينما أنا
أحمل البحر على كتفيَّ
مثلَ صيّاد مبقّع بالشمس
ألعق جراحي
المنثورة على هيئة نوارسَ تتصايح في الأفق
أسترق السمع لمجرّات
تبتسم أمام الكمال الناقص،
أمام الناقص المكتمل،
فوق شفة الهاوية تماماً،
مجرّاتٍ تعطّلت مجنزراتها
في معترك كلّ حرف
في محترَف كلّ خُطوة
في منتصف كلّ قصيدة

الشاعر

[1]

إن كنتُ موجوداً حقّاً
ففي عيونِ الأطفال،
إن كنتُ مستعصماً بشيء
فبالأشياء
التي تنهار على مقربة من أصابعي،
إن كنتُ موجوداً لبعض الوقت
فلأنني ثملٌ
أنفخ آلتي الصغيرة
قُبالة الحانات الريفية
والمرافئ المظفّرة بالضباب

[2]

نسيتُ خوذتي المبقّعة بالرصاص
في تلكم الوديان العطشى،
محتضِناً جمرة صغيرة في رئتيّ
كي تنوسَ المدنُ
وترقصَ المومسات
مصغياً بخفّةٍ إلى عواء الريح
إلى هسهسة السنابل التي تأكل بضراوة
ذهبها المرصّع بالشمس والأجنحة

[3]

ها قد جرفتني السهوب
- التي كلّها ساكسفون شاردٌ وعشبٌ أزرق-
إلى أعينكم المشجّرة بالحنين
إلى قلوبكم المسافرة في الجراح ذات الأعياد
إلى جرار أنبذتكم ذات الأغصان المسكرة
إلى حقائبكم المطّايرة في الأفق
إلى فواصلكم القزحية
التي تحسدها الآلهة
إلى آهاتكم الحبلى
بالوعول والعاصفة

[4]

ها أنذا أقسم بنهد حبيبتي
الذي يقف عليه غُراب الغياب
- أيتها الصبايا الحلوات،
أيها الشباب الوسيمون -
أن لا عمل لي
إلا أن أكذب عليكم
بقصيدة ناقصة

عام الجوع

ماذا كنتَ تودّ أن تفعل
أيّها اللون البنفسجيّ
الغائر كجرح، الفاجر كأفعى
في بلدتي الصغيرة
ذلك العام

كيف حللتَ ذات ضحى ماكر
مثل حقيقة سحيقة انفرطتْ للتوّ
من وثاقها المعدنيّ

كيف أتيتَ أيّها المطر الندفيّ
مثل جمرة ذات جناحين تأكل الأفق

كيف انتصبتَ أيّها الثعبان
المدمدم بالأشواق
كما تفعل البراكين
بمخلوقاتها الطائشة

لماذا كنتَ تتقاطر أيها الشبَق الأحمق هكذا
كما لو أنّ البحر يركضُ هائجاً وراء طرائد غامضة
كما لو أنّ حنينَ ثيرانٍ مفاجئٍ

تسلّل بقوة البرق
إلى الجسد المغرورق بالعَرَق
كما لو أن الأرسان تحمل المشاعل
متكسّرة، تطلب الحرية،
محتشدة مثل نُقاطٍ سيّالةٍ من ضوء
على ضفاف الأنهار

آهٍ أيّها اللون الهادر
حتّى أنّ الغربان توقّفتْ بغتة عن التصايح
حتّى أن رؤوس النخيل صارت تترنّح في الأعالي
حتّى أنّ السهام كلّها
اندفعت مرّة واحدة إلى غزوة الدم
حتّى أنّ السَّكْرة
كانت مثل سالومي، ترقص بغلالةٍ شفّافةٍ
أمام كوخ بحريّ
حتّى أنّ الزيزان
تتعارك برشاقة غريبة
فوق أعراس المياه
حتّى أنّ كل كائن مشّاء
يرغب بشدّة أن يعضّ الآخر
حتّى أنّ الرجل – في طيش غير متوقّع –
يطارد عطر امرأة عابرة
حتّى أنّ امرأة مهووسة، في وضح النهار،
كانت تسرق زوجَ جارتها

آهٍ أيّها الجوع
الذي يقفز في ضلوعي
حتّى أنّ قلبي الذي أصابه مسدس الفَزَع
صار يقرع أجراساً في مدنٍ مطمورة في النسيان
حتّى أنّ روائح القمح والقصب وطلع الليمون
تشخبُ ناياتُها في صدري
حتّى أنّ نيراناً مجوسية
تطقطق بألسنتها في لساني
حتّى أنني أصغي الآن
إلى خلاخيل قدمين تتقدّمان نحوي
في قافلة ضائعة في البراري
حتّى أنني أرى رأي العين
كاليپسو
في لحظة خاطفة
آسرةً إيّاي في كهفها
منهوباً بالمباغتة
عاوياً في اللذة

مَدْخنة

قرب ماخورٍ
ذي روائح شهيّة ومُغثية
رأيتُ مدخنة شامخة أكثر من أيّ برج
أطول من أيّ موجةٍ أو زوبعة
كما لو أنّه لا سماء فوقها
تنفث حمم اليقين بأضلاعه المسدّسة
مطوّحةً للأعالي بأشكال تشبه الأبالسة
عرفتُ فيما بعد أنّها الإيمانات
ذات النسور الميّتة
قاذفةً أيضاً بكائناتٍ تنتحب
كائناتٍ هلاميةً زرقاءَ، حمراءَ، ذات ذيول طويلة
لم أقرأ عنها في الأيام الخوالي
في كتاب الأطفال: ملوكِ الخيال
متسائلاً في داخلي، وأنا أتلفتّ إلى الوراء:
«ألا يوجد نصيبٌ في هذه المدخنة
لتلك العصابة المزوَّقة
التي استمرأت سرقة الكلمات والأغاني
عندما كنّا عابرين، منذ قرون خلت،
على هذه الأرض»

أشواق

أدع أشواقي
حزمة من نعناع وريحان وتبغ
تتكسّر على الطاولة

أُدَوْزِنُ زمني وإيّاكِ
بعينين خاليتي الوِفاض
كما لو أنّ الزمنَ
صرّةُ ألعابٍ مفكّكة

مع ذلك أعرفُ أنّكِ مع كأس نبيذِ ألحان الغسق
تتذكّرين
طيفاً مسافراً
يعبر في عينيك المتقدتين بالألم والشموع

مثل فجرٍ فضيٍّ يصارع الجرح
يُحَيِّي الأشجار

لهذا - في ضفتي الأخرى-
كنتُ أعودُ إلى مائدة الصبر
متلعثماً مثل بريدٍ يسأل نفسه:
ماذا أقول عن جداري الذي يهذي بقُبلتك
كيف أبوح أيتها القيامة، أيتها الجبال المندكّة
بسطرِكِ الشعريِّ
الذي أخرج شيطاني من قُمقم سليمان،
سطرِكِ الذي فتّح عليَّ كُلَّ باب
سطرِكِ الذي أشعل أحجار الكلمات
سطرِكِ الذي رفع فناراتي
إلى النوارس
سطرِكِ الذي ناطح الجبال،
سطرك الذي جعل دِيَكَتي المجنونة:
تتصايح بعطرك
في كلّ حدب
تخطب وُدَّ قرمُزِكِ
في كلّ قصيدة

عندما كنتُ الليل

وحيداً في الصفحة الأخيرة
في مرفأ الزوال
تتحرّك بي قواربُ هاذيةٌ:
الأصدقاء بعيداً عنّي
يوقدون حطب سهرة صاخبة في حانة،
الكؤوس المرنانة تأكل أذنيّ الحزينتين،
الحشرات مشغولة بصياغة الوجود مرة أخرى،
الأقدار تتحدث عن اللعنات في قطاراتها الدائخة،
الكراسي منهوبة في الصمت الأوّل
منذورةٌ للتحوّل إلى سراخس
أو إلى خيوط واهية،
الأطفال بِذارٌ متفجّرة في رحمٍ مختلطٍ بالدم،
الشيوخ عصابة خيمياء تتحرّك كرتونيّا،
العشّاق كتلة أعصاب منهارة،
الكتابة، لا بدّ أنّها، وَرَقة ساهية في الجحيم

ومن باب الاعترافات التي تفهمها الأبالسة، في الليل اللُجِيّ:
لم أكن إلا ليلاً
تدثرَ بليل آخر

حانة بعيدة

لستُ مصاباً بأيّ كوكب
لستُ جريحاً إلا في قلبي اليتيم
الأرض تنتفض
ودمائي مبعثرة
لهذا حتماً سيتشاسع البحر
ستتوهّج القصيدة

***

ولهذا أيضاً أكرع أشربتي في حانة بعيدة
في حانة هناك:

ليس في أعالي الجبال في الثاني من مارس من العام 2017 أو على سلّم موسيقيّ من عام الديك؛ بل لأنّ حبيبتي تضرب لي موعداً كلّ ليلة، في عَوْدٍ أبديّ، في المَرْج والوادي، في المنحنى والغدير، في البرق والشهوة الشعرية، في القفار وعلى تخوم المدينة، في الحانة المتلظّية وعلى الدَّرَجِ الحجريّ، حيث أصدقائي المحصّنون ضدّ الموت، وأعدائي المورطون بالبُرج والقهقهات والسلالم، وحيث صالح العامري الذي لا أعرف لماذا يذرع الأفق بحصان ورقيّ، مستسلماً بهذه الطريقة إلى سهم فضيّ يخترق أحشاءه بابتسامة عمياء، في تلك الحانة التي ينهبها الضباب الندفيّ، في المجرّة التي تسافر إلى أين الآن؟

الفجر

الفجر حدُّ الأفق
خوخة الوجود
في صحراءِهِ الباردةِ تبدأ أجراسُ القافلة
في حدبته العارية تنخلع أرواح الكتب
في جمرته تتهادى الأيائل
في لوعاتِهِ يتناثر العطر
***
كم من غريب هنا
يمضي سائراً في أحراش الظِّلال!
كم من عاشق هنا
ينوس في وردته
غير آبِهٍ بأيّ حُطام!
كم من مسافر هنا
أرخى العنان لحصانه
كي يعدو به في البراري!

***

لا بدّ أنّ زمناً آخر في هذا الزمن
لا بدّ أن إيقاعاً مختلفاً ينتشر في الأفلاك
لا بدّ أن الحقيقة الآن قد أكملت عُريها
لا بدّ أنّ الحريّة الآن قد حملت الشعلة
لا بدّ أنّ الليل قد فرك أحجارَه بما فيه الكفاية
لا بدّ أنّ الأطفال قد حلّوا آخرَ عُقدة
في حبائل النوم
لا بد أنّني أتحوّلُ الآن
صدى ناعماً يتردّد بين الجبال
لا بدّ أنني أصّاعد الآن
موجة عالية
تلتفّ بمكرٍ
في خاصرة البحر
لا بدّ أنني أنتشر الآن
كجناحَيْ نسرٍ
في غرام الذرى
أو
في جُرحِ الغابة

الماموث والطائر

أعرف أن قلعتي
مجرد عجينٍ رمليٍّ مطّاير

***

أعرف
أنّ جداري الأسمرَ
-الذي استطال فوق أعناق الزمن-
قد تناوشته الطحالبُ الخضراءُ
وجرذانُ النار

***

أعرف أنّ حصاني الأشهبَ
قد اختفى في غيمة العدم

***

أعرف في هذه الأمكنة
- المتلفّعة بالدّرَن الضاحك-
أنّ زهرتي نائمة
وأنني حزينٌ مثل موقد مهجور
أسحب أعبائي على سلالم الفجر
مُنَدّى بغطيط الآلهة
والفلاحين
وسلطعونات الشواطئ

***

أفقه

-يا فقهاء الظلام ويا أبالسة الحكمة-
أنّه لم تعد لي فراشة
أركض وراءها في فرح الغابات
وأنني ثقيلٌ مثل دَبّابةٍ معطوبة
أو جريمةٍ غامضة

***

أنا ماموث السهوب المنسيّة
أحمل في خاصرتي لهب الثلج،
بأنيابٍ هي سراباتٌ تحدّق
في فُوّهاتِ بنادق العصر القادم،
تولول برغائبَ غبراءَ كسنابل الليل،
بأجسادٍ مثخنةٍ بالشلالات
التي جفّتْ صنابيرُها

***

أنا الماموث
الذي تورطّتْ به الكرة الأرضية،
-أعني الأرض الذي تدور في مخلب الڤودكا الصاعق،
أعني أخيل الذي ضغط على الزنادِ الهشّ،
أعني القيّوطَ القديم الذي ألبسني الدرعَ المعاديةَ للصخرة الحيزبون-
أصغي إلى حنيني،
قطرة قطرة،
إلى حنيني المسّاقط
مثل وداع يطرق العظام

ممحوّاً في ذاكرة الأفق
يرتطم بجناح الطائر

***

هكذا كنتُ أقف هناك
في لوعة الضباب
علامةً نهبها قراصنة المواعظ السبع،
بحراشفهم المخمورة
مفتاحاً مضيَّعاً في رجّة الريح الحجرية
بريداً لا يصل إلى أيّ عين، إلى أيّ كأس، إلى أيّ حنجرة أو أغنية
سكرةً تثمل في منتصف الليل بالخرائب
بالجسور المهدّمة
بديدان الأرض

***

لكنْ حدث، في ذلك الانتصاب ذي الهول الضاري،
في المدار الذي كانت تنوسُ فيه الأفلاك،
في الحوافر الخائرة ذات الأبدان التي قُدّتْ من موسيقا ومن صرخةٍ مُكَتَّمَة:
أن باغتتني تلك النسمة التي يعرفها فيلسوف الينابيع
تلك الإيماءةُ التي تقتل الشعراء
تلك الإيماءةُ المخاتلةُ ذاتُ القواربِ
بنوارسها المُصّايحة
بفضّتِها عاليةِ المَقام
مصغياً في غفلةٍ من التاريخ العبثيّ

إلى شهوة الرعد،
إلى العُواء العاقّ
العُواء الملتحم بالبرق الخارج عن أيّ قانون
البرق الذي يكسر زجاج القباب العالية
حتّى أنّك ترى رأي العين
رأسين أو ثلاثة تشخب بالجرح الملَكيّ
متدحرجة فوق السفوح الغبراء

***

هكذا إذن
- أيّها الراحلون في العسل الأبديّ -
وجدتُني متملِّصاً من ردائي المختوم بأقفال الأحجار
مُدمدِماً بالمملكة الرشيقة
التي ترقص في خاصرة النور
بأسوارها العتيقة
ذات العِطر الفضّاح
مرفرفاً مثل أحجية وُلِدَتْ للتوّ
على هيئة طائر
لن يعود إلى أيّ عُشّ
لن يرجع القهقرى
إلى أيّ قاموس خَرِب
أو حربٍ تافهة
وجدتُني، في عين الشمس،
أكرع كثيراً من الجَمال

أرقص في الزهرة المستيقظة للتوّ
لا وطنَ لي
إلا الشمسُ المثابرة
الشمسُ التي تهزأ بالأحجام
الشمسُ التي تحتضن الأشكال
الشمسُ التي تورق في عينها صحراءُ
منقوعة في جمرةٍ، في جُرحٍ، في قصيدة
الشمسُ التي يسافرُ على كتفها
طائرٌ منخلعٌ
من أيّ عمارةٍ
أو لغو

***

أنا الطائر الهاربُ
بغريزة الأجنحة والمناقير
من أيّ كنز متهدِّمٍ
أو جزيرة بكماء
لهذا، أيها الأطفالُ، لا بُدّ
من أرجوحة لا تعود إلى رشدها
لا بدّ أيها الكون
من طوفان مُلَوْلَبٍ
يبتلع السفينة
كي يشمخ البحر

ويسكي

لكَ اللطفُ يا قلب الشجرة
لكَ المجدُ يا جناح المعارف
لكَ السَكرة أيّها الربيع

***

ساهرٌ أنا مثل صبيّ الأرياف
أرقب النجمة،
أرقب البنتَ التي لا بدّ أنّ نهدها فاجر،
وعينيها مكحولتان بقفزتين حُرّتين في البراري

***

دمي حبّهانٌ وزعترٌ وقصيدة
عروقي سرخسٌ في النبع الأوّل
لهاتي برتقالة تتدحرج جهة الشمس الصغيرة
لثغتي قُبّة منكّسة الرأس

قاموسي غزالٌ ضجِرٌ من أيّ حليب

***

أيّها البوليس السريّ
بزجاجتي الصفراء التي تصفر في الريح
أنظّف البلد
أكنس الشوارع من رغاء الفقهاء
أحَصِّنُ الليلَ - بهذه الطريقة - من الويل
أحضن الشجرة اليتيمة
أحكّ رأس العدم بفمٍ ماكر
أسْرِجُ (روسينانته)
كي تمضي بي إلى غبار النقاط والفواصل
إلى خضمّ المعركة المرحة
المزنّرة بالخراب

***

ويسكي لأنّ حناني يفيض
ويسكي لأنني أقهقه وحيداً وراء الأسوار
ويسكي لأن حبيبتي التي ليست في قبرها الآن:
تغني بغنج في طرقاتِكِ
أيتها المدينة المعتوهة

ڤودكا

طرتُ معها
لعبتْ بي عنكبوتُها المرحة
التي قضمتُها بلذاذة في منتصف السهرة
كأنّها واحدة من الفريق الملقى على قارعة الصحن:
(البندق والفستق والجوز والكاجو والطماطم الكرزية)

لساني يُرطّب العالم
أصطاد به حشود الأحلام الملوّنة

لكنني في نهاية الأمر
مثل إيكاروس
المرتطم بالموعد؛ الذهب
أسقط في جزيرة الكنز
مستيقظاً - في السهب الشاسع- على فراشتين تحومان حولي
وفتاة تبتسم بغنج
في وجهي المسافر

إيميليبيس پيرسيفوني

أهلا إيميلي

يا إلهة الربيع

***

لا تضارعنّك سفن حتشبسوت

بمجاديفك التي تجاوز الألف

***

توقظين المعرّي من رقدته

بزلزلتك التي ناضلت
للسفر بعيداً عن أديم هذه الأرض

***

أهلاً إيميلي
يا مَلَكة العالم السفليّ
هل جُنّتْ فراشاتُكِ؟
هل كفّتْ عيناك عن التشرّد في البراري
والمروج الزرقاء؟

***

جسدُكِ فستان زفاف أبيض
لهذا على العنب والرمّان أن يدوخا في السُلّمِ العميق
على الرقصة أن تنحفر على هيئة مثقاب تجاه الأسرار الغامضة
على زيوس أن يتعلّم أبجديتك العمياء

***

لقد أثقلتْ الأعينُ كواهلنا
-نحنُ أطفال المنفى -
وعلينا أن نُغمض فوانيسنا
مسافرين إلى الليل
الذي كُلّه كُحلٌ وعصافيرُ وزهورٌ بريّة
لقد فقدنا كنوز الصيف
وقد آن الأوان لتقودينا إلى الغرام
لقد سئمنا هذه الرقعة العلويّة

الملغّمة بالجماجم والصدأ والرجال الجوف
وعلينا أن نتبع غزالتك
إلى البراكين
إلى الحديد المنصهر مثل حساء الأعياد

***

يا إيميلي
-الأكثر عتاقة من الخمر
ومن آدم ومريم وسقراط-
يا ملكة الوديان
قودينا
إلى ألطف من أيّ تراب
إلى أنأى من أيّ بصيرة
إلى أشهى من أيّ حليب
إلى أبعد من أيّ مجرّة

* تناقلت وكالات الأنباء في ديسمبر 2021 خبر اكتشاف العلماء دودة عمياء، على عمق 60 متراً، تملك أكبر عدد من الأرجل بين كلّ الحيوانات المعروفة، حيث تمتلك 1306 أرجل. وقد أطلق عليها اسم إيميليبيس بيرسيفوني، ويعني إيميليبيس ألف قدم حقيقية، أما بيرسيفوني فهو نسبة إلى ملكة العالم السفلي في الأساطير الإغريقية القديمة.

أصابع

إبهام يدي اليسرى ضفدع ناقم على الجميع، السبّابة كرسيّ يسقط الآن من أعلى عليّين إلى قارب ينجو من السقوط فوقه أيّ شيء أو أحد، الوسطى قاعة احتفال بشعراء يُشْوَوْن على مَهَل في أسياخ الضحك، البنصر علامة على الرسوب في امتحان القيامة، الخنصر احتلام يشهق في الخيزران أو زرقاء اليمامة

خنصر يدي اليمنى صحن صغير تحاول دويبة سمراء أن ترقى بشجاعة على حوافه، البنصر مشجبٌ يغنّي سيريناداتٍ أمام الشرفات، الوسطى انتصابٌ أعمى يدخل في معركة الظهيرة دون أيّ درع أو ترس، السبّابة حبّة نبق سرعان ما تتحوّل ذات صباح إلى آلة طابعة متعجرفة أو مملكة ذات براغٍ وصواميل بلاستيكية، الإبهام موسيقيّ فقد رشده قبالة البحر

هكذا أعدّد معجزاتي: منجزاتي المتحوّلة، بينما يمرّ غريغوري سامسا، مودِّعاً إيّاي كمصير معزول عن أيّ رحيق أو حلق، رافعاً قبعته، أيضاً، إلى مصيره المجهول

مرقاب

صحوتُ من حُلمي
وأنا أحمل، بين يديّ، مرقاباً طويلاً جداً
كنتُ أشاهد
من عينِهِ البعيدةِ:
عزلتي ذات الأغصان
وهي تستحمُّ عاريةً في لآلئ البحر
***
كان البحرُ النّزِقُ، بزرقته المالحة
يتلصّصُ -هو الآخَرُ-
من ذات المرقاب
على ورقتي الأخيرة،
ملتفتاً في ابتسامةٍ تخفق بالنّدفِ الشهوانيّ
إلى شاطئ عينِيَّ الغائبتين
حيث فتاة عارية
تتشمّسُ
في عطش الكلمات

سلالم إلى أوفيليا

سلالمنا صفراء

سلالمنا

ذات قمح وضوء

كأزهار عبّاد شمس ڤينسنت ڤان گوخ

سلالمنا المرحة

مسافرة إلى فوّهة البركان تماما

تحاذي بحنان متعطّشٍ بوصلة الشاعر

ترجّ بذور الضبِّ والضَّبُعِ والغزالة

في حنجرة

الربع الخالي

***

الألسنة تتقاطر بزليخة وسلمى وميسون

الأصابع تكتال الريح

الأوجُهُ، دوماً،

مخترَقةٌ باللحن الأزليّ

***

ظامئون

مرتعشون هنا، في داخلنا،

مثل فُلفُلٍ يتحرّق لنهرٍ في حديقة الأفلاك

منتبهون للقيامة الوشيكة،

دون أن يطرفَ لنا مطرٌ على نافذة الخارج

***

لنا إعصارٌ طيّب السريرة

هُنا

حيث الليل بحوافره الصاهلة يقطر بمراثي القلعة،

الأخبارُ الدائخة تسفعها أناشيد تحوم كالفراشات في قلبٍ مُدْنَف،

حيث الرياضياتُ تتربّص بالموسيقا،

الموسيقا ملدوغة بعقرب الحنين،

الغيوم يأكلها الجبلُ الذي في الجبهة،

النّمر مكنون في الغزالة،

الغزالة في الليل الغامض،

«الجلالي» الداكنُ يثرثر مع «أبو الهول» الأغبر،

البريّة موثقَةٌ بحنانٍ طائش كتبغ أو حُريّة،

المطر يُجنِّنُ أورليان

البحر يذبح عوليس

السماء فاكهة أو فُكاهة،

البئر يورق بفظاظة خضراء في أسواق الصفّارين

حتى يلتئم جرحُ قصائد النثر

أو يقع المتنبي وأبو مسلم البهلانيّ -كالعادة- في فخّ القصيدة المرنانة

***

سنترنّح إذن، بأشيائنا الغامضة،
التي تهرول في أجساد السردين الفضيّة،
سنترنّح في دَعَةٍ مثل أيّ جبلٍ صغيرٍ،
بين الغراب الطريف
والطوفان الذي يعزف على آلة الهارْب
ها جريمتنا زرقاءُ
كما لو أنّ لنا ريحانةً تتقلّب في المدار
كما لو أنّ الكونَ برمّته
حشيشة
تُرَقِّشُ البئرَ
تحوِّلُ الجدرانَ نوارسَ
حتّى أنّ الكراسيَ تعبث بأعضائها
حتّى أنّ التفّاحة والغليون والقبّعة
تسحب عينيْ ماغريت
إلى رائحة الصحارى
إلى القمر الفاحش
إلى نهدين
أطلقتْ عليهما الأيديولوجيا
جرذانَ الرّصاص

***

ها ليلنا الأسمرُ، بلا خنافس أو عظّاءاتٍ،

بلا قردةٍ تتلاعب على حبل
أو خنازير بريّة
ها ليلُنا مجرّد
قطة تموء إلى جوارنا السّاهم
متناسين أنّها تتحدّر
من عنق زجاجةٍ
من أشواق مهدرةٍ
في بطن غيمة

***

لهذا على أحدنا، أن يقطع سَكْرَتَهُ
بصرخةٍ متمايلةٍ كذيل عقرب نبيل
بلُعابٍ يسيل دون أن يدري صاحبُهُ أنّه يقول:
إنّها أوفيليا دانتي
إنّها أوفيليا هاملت
إنّها أوفيليا المتحررة من كلّ أحدٍ أو قيدٍ
أوفيليا السكرانة التي لم تعد تكترث بالوردة
بالآلهة
بأولمبهم المندكِّ
بالأبالسة المخترَقين باللحن
الأبالسة ذوي الخوذات الورقية

عينان صغيرتان

بعيون كثيرة أرى العالم

لكنْ لأنني عابرٌ فأنا أحملُ في جيوبي رقصةً مباغتةً، تماماً كما يحصل
أن أنسى حقائبي في الطريق
(مورِّطاً قطارَ الألمِ بالسير جهة الكواكب البعيدة، التي لا علاقة لي
بفروجها الشيطانية، ولا بحظوظ أذيالها العاثرة):

قرّرتُ أن تكون لي عينان وحيدتان
عينان صغيرتان
عينان ضيّقتان
أفركُ بهما الأحجار
كما لو أنهما منديلان مسحوران
لكي تندلع الرحلة المجيدة في أصابعي
ويتحقّق الشلال
لكي أرى المسافة على جانب أوحد من النهر
لكي ألعب الغمّيضة
مع ظلالي الهاربة

انكسار

يا مجدافي
الذي كنتُ أصارع به الموجة
ذات الطيش والوحش

يا مجدافي النديّ الجبّار
الذي كنتُ أوقف به الريح
ذات التيجان الهوائية وغيلان الماء:

سأدَعُكَ، أيتها التحفة البائسة، في اللحن الغامض،
في متحف الشمع،
سأضعكَ،

بلباس أبنوسِكَ وديباجِكَ وحريرِكَ العتيق،
على ضفاف النسيان

طللاً شاحباً في فم القصيدة
مفتاحاً منفيّاً
في عين أيّ كُوّةٍ مهملةٍ أو بابٍ ذي فُضول

سأتركُكَ على ورقة الشاعر
الذي لن يكتب أيّ سطر بعد الآن
أو على مصطبة التاجر
الذي غرقت سفنه وبضائعه في لجّة البحر

سأهجركَ، أيّها المجداف الكالح،
كي تروي للكون
موسيقاك التالفة
هياجَكَ الذي يَسخر منه
كما لو كان عاراً أو جريرة-
شحاذو المدينة
ومجانينها الأماجد

إلى كريستينا ڤْلاد

[1]

في الليلِ الأشهبِ ذي المصابيح التي تفرك الأبدية
التقيتُكِ يا كريستينا
في الليل ذي الألواح المتطايرة
كانت عناقاتنا الدائخة
تفلع جبهة الوحش

في الليل ذي الحَبَبِ والسنابل
كنّا نفيض مسحورين في الحُلم المُحْكَم
في الليل الماكر ذي القطيفة
كان عُريُنا يكنز موقد المجرّة بالألحان المجنونة
في الليل ذي الأغصان العالية
كنّا نسخر ضاحِكَيْنِ عند أقدام القلعة
في الليل المشجّر بالنجمة
كنّا نُبَدِّلُ أفواه الوُعّاظ بمناقير الغيم

في الليل ذي الظلّ الطويل
الذي يسحب الشمس
كطاووس ناعس
كنّا نزجر الآباء
كي يتحوّلوا إلى لوحات فنّية
والجنرالات
كي يكونوا مجرّد ألعاب ناريّة
تتلاشى في لوعة الأفق

[2]

في صمتِكِ الجليل يا كريستينا
كنتِ تُلبسين الأشجارَ غصونَها وعصافيرها

في الهدوء الذي يصبر على معنى البركان
كنتِ تُواربين الماسة النفيسة

في لدونتِكِ الأرقّ من خوف الغزالة
كنتِ تنسجين لي
قبّعة المسافر إلى مغناطيسك الخالد
في التفاتتكِ التي تسّاقط أحاجيها على زهرة الليل
كنتِ تناولينني كأس عشتار
كي ينفجر الصيف بالجرار المخمورة
***

بينما أنا
- يا كريستينا، الحلوة كفاكهة فردوسية -
أرقص بفرحٍ غامض
في إيمانِكِ الكافر
إيمانِكِ الذي
أوّله كبرياءُ اللبؤة
الذي أوسطُهُ بيانو يعزف قلبَه على الشطآن
الذي آخره وردة تضطرم
بالقصائد والآهات
***

آهٍ يا كريستينا
الجرحُ والغيمة المتوحشة ذات الأعياد -
منهوب أنا
مثل أيّ ساحة عامة أو بُرج

بأقمارك الفضية
المتناثرة مثل الفراشات
في شهوة المدينة

***

آهٍ يا كريستينا
لم تعد سلالم الحياة ولا زهرة الموت
إلا قُبلة تعوي
في زاوية صغيرة
بين لسانين
يجدِّفان صوب الكمّثرى
يندفعان كشلّالين من عسل
نحو المنفى
منفاكِ أنتِ يا كريستينا
منفايَ أنا يا كريستينا

* قالت لي: عِدْني بأن لا تنسى اسمي. اكتب اسمي فور استيقاظك من الحلم، لا تتأخّر قطّ، كي لا يفرّ اسمي من ذاكرة الحلم. هكذا فعلتُ يا كريستينا، تحت سطوة ما لا يقهر، ما لا يُحتمَلُ نسيان لذاذاته. من أنتِ يا كريستينا؟.

خيط

قلتُ لكم منذ أمدٍ بعيد:

«علينا أن نحرث الأرض؛ علينا أن نقشِّر اللغة، ونعطيها لفم الصرخة»

لكنّكم -كالعادة- مثل مسمار صدئ

أراه الآن يسقط في الهاوية

وحتى لو ارتطم فعلاً

على سطح عدميّ

فإنّه لن يكتب أيّ شيء

لن يترضّض

لن تكون له خيمة، لن تكون له وسادة

منطرِحاً في الخجل بلا طيور أو أجنحة

مثل شعب مقهور

على أرض الخديعة

أو مثل صرخة خِيطت أفواهها بالقطران

عند جسر منسيّ

***

مُصّاعداً كخيط من نار

إلى عينيْ السيدة العمياء التي تشمّ الزهور الغيبيّة

في المرج الأخضر

إلى أعين الأحصنة المروّضة منذ الإسكندر المقدونيّ

في إسطبلها الحزين

مخرز

لا أمل
إلا أن يصرخ شاعرٌ في اللغة
من أجل توبيخها
لا أمل
إلا أن ينهض مخرزٌ ما
من كبريت الأرض وكبريائها، من مغاليقها الرحمية
من بيتها الريفيّ القابع في جوهرة الأرض

من لؤلؤتها السافلة، من حضيضها الذهبيّ
من بركانها الذي يحضن وردةً؛ جمرةً
لكي يتهدّم القصر
وينبجس الطوفان.
لهذا كما لو أحلم أو أهذي،
كما لو أنّ انفجاراً في ميناء أو أرض ثامنة:
أشمّ روائح نضرة هذا المساء
روائح تقف ناعسة، في حنان،
على بيانو مضطَهَد
ألمس أعيناً مختَرَقة بالأعياد
ممالكَ قد جرفها الأطفالُ بلثغة أو لثغتين
أرى نساءً حُلواتٍ، بأثوابهن الملوّنة،
يأتين، من البئر العسليّ،
رِفْقَةَ فِلْقَةٍ قمريةٍ
وجرارٍ من ضوء
رافعاً كأس نبيذي إليكم:
أنا ابن جزيرة نائية
أنا ابن موجة تلطّخ البحر
بقهقهاتها العالية

القباب

القدس
على مرمى حجر
من مدرستي الصغيرة
من أسلحتي الحلوة الراعشة بالزيتون والصبّار
من تلامذتي المتناثرين فوق الحدّ
من بساتيني الرملية
التي تدرك أنّ «الهاغاناه»
مجرّد مسوخ
يفقه أمرها، أكبر الظن،
رجلٌ من براغ -ذو أذنين كبيرتين-
كان يكتب بالألمانية
كثيراً ما أشار عبثاً إلى الطيور المقيَّدة
إلى التيه الذي يغرق فيه حاصدو الأزل
كثيراً ما كتب
عن الحشرات التي تتقلّب من شوق إلى شوق
حتّى أنّ المكانس تذروها الرياح
والأخوات تطير تنانيرهن إلى شركات التأمين
في غزّة
أو رام الله

***

على أيّة حالٍ أو مجدٍ أو سلالمَ تزفر بالموسيقا والخمر المعتّقة
أنا القِباب

-الصغيرة كنقطة في شرر الغابات،
الكبيرة كحقيبة تلميذ في الصفّ الأوّل الابتدائي-
لا أمتّ بأي جذر أو غصن أو أقمار
إلى «غيزر» و«أيالون» و«كفار بن -نون»
وحتماً لا صلة لي البتة بك يا «بن غوريون»
في الثالث عشر من سبتمبر عام 1948
ولا في غير هذا التاريخ،
مسلّحة بالشموع والأوردة النازفة
درويشاً أغبَرَ أنا ينهر الموت
كوكباً كاملاً، لو تعلمون، عصيّاً على الموعظة، على الكلام
لحناً منسلّاً من براكين قومي المتناثرة في كلّ العالم
حتى أنّ طفلين في عُمان
لن ينسيا السطوع القمريّ
لن ينسيا الضوء السريّ العابق في مزمار تلالي
مطوِّحَيْن بمفتاح جدّهما القديم
في كنز الغيوم
مسافِرَيْنِ مع طائرات الحلم الورقية
-التي تعرف طريقها في اللازورد المكنون-
بين اللد والرملة والقدس
الطريق المنتصب حُمّى مسافرة
وقيثارات جبليّة

«علينا أن نزرع حديقتنا»

كانديد، فولتير

انفجرَ «الولدُ الصغير»
انفجرَ «الرجلُ البدين»
انفجرَ ميناءُ بيروت
انفجرت قلعة الجلالي
انفطرَ قلبُ خليل حاوي
صلاح عبدالصبور
Paul Celan
Virginia Woolf
Vincent Willem van Gogh
لهذا يا أصدقائي الحلميون
يا رفاقي الذين يحبّون الشموع وأزهار الريحان
ألقمُ أفواهَ الأرضِ بذورَ المشمش
وأزرع الحديقة

تناسل

أباً عن جدّ
وقد سَمَّوْا ذلك قبيلة!
أباً عن جدّ
وقد تحلقوا، ببلاهة مُريعة، حول نيران الأسلاف!
أباً عن جدّ
وقد كانت الأفاعي
تحقِنُ الأوردةَ
وتضّاحك فيها!
أباً عن جدّ
وقد كانت بيادقهم،
المنكّسةُ الرأس،
تلعب بها أصابع الوالي
وتركلها
قدم الإمبراطور.
أباً عن جدّ
وقد كانت المسوخ تتناسلُ
وقد كانت الأمعاء الدقيقة والغليظة ترطنُ بالأسلحة،
بينما الأرضُ تقذف لعنتها المسمَّمة:
«أيّها الخراب، أيتها المعضلة، يا جرذاني السّمان التي لا أحبّ»

وسادة الليل

ضالعٌ أنت أيّ ماذا؟ طاعنٌ أنت أيّ سرّ؟
والغٌ أنت أيّ وحل؟ شاهدٌ أنت أيّ قرية؟
بالغ أنت أي طفل؟ دائخ أنت أيّ بئر؟
نازف أنت أيّ معنى؟ قافرٌ أنت أيّ درب؟
تائه أنت أيّ ركن؟ داخل أنت أي قلب؟
عالق أنت أي طيف؟ طالع أنت أي مطلع؟
راتع أنت أي مرتع؟ سائر أنت أي ليل؟
بالغ أنت أي جرح؟ كاتب أنت أي مقطع؟
قارئ أنت أي سطر؟ عامل أنت أي حقل؟
حازم أنت أي يتم؟ طالع أنت أي فجر؟
غارب أنت أي نبع؟ شارب أنت أي ويل؟
مدمن أنت أي علقم؟ لاحق أنت أي ركب؟
لابس أنت أي ثوب؟ خالع أنت أي ليلى؟
منجز أنت أيّ فصل؟ ساهر أنت أي نجم؟

خسارة

أتكبّد كالعادة أوفيليا هاملت التي غرقتْ في حوض الأزهار، أو تلك الأوفيليا التي يفترض أن تقرأ القصائد في غرفة مظلمة، أو الأوفيليا، ثالثة الأثافي، التي تفطن إلى أن قصائد الحب لا بدّ أن تكون سخيفة.

أتكبّد أيضا ليلى التي كنتُ وإيّاها نرعى سمكة الخيال في صحراء الربع الخالي.

أتكبّد غريتا تراكل «الشابة النضرة في ظلمة العفن».

أتكبّد العفن هذه الليلة،

أتكبّد الخسارة، التي بشحمها ولحمها،

يتجسّد العدم الشهيّ

الأعداء أكثر أهمية

الأعداء أكثر أهمية
لا حاجة بي للأصدقاء!
الليل وطنٌ دائم
عليَّ أن أقفز دوماً فوق النار
صوب كارثة جديدة
عليَّ أن أتمتم، مثل نوحٍ سكران:
«ماذا يمكن أن يكون اللحن
سوى مجرّد سُمٍّ أخضر؟»

ها قد اخترقني جرحُكِ، ها قد نهبتني حُمّاكِ

إلى حبيبتي التي لن يغتالها أيّ موت، والتي لن يتخطَّفها أيّ دود، الفذة كفلقة قمر، الشهية كجرحٍ، الصاعدة بي إلى نبيذ الجبال المجنونة، النازلة بي إلى ڤودكا الوديان الغامضة، السكران بطيش ألحانها منذ أن حملت النيران نفسها في ضفيرة وفي وردة، العاضّ على نسغ أشجارها منذ العصيان الأول للحدائق على قانون الغابات

إصبعك

إصبعك الجسور
يهبط مثل عشتار
على سلالم بيانو منسيٍّ
بين أوراق الخريف
المُسّاقطة في عيد الأبدية

إصبعك الدائخ
يخمش الليل ذا الأغصان المتشابكة
كي يلتحم الدمُ بالعرس
الوردةُ الحمراءُ بالقطة العاوية

إصبعك المجنون
بإزميل من شبقٍ
يكشط لعنة المسافة الواقفة
بين صمت القلعة وصرخة الفجر
بين جناحيْ إيكاروس
ومُدية الشمس

ألفة

شرودكِ وشرودي يتناولان إفطار الصباح
فزعكِ ومخاوفي يتأرجحان في حديقة الحبّ
صبركِ وممحاتي يتبادلان القُبلات
قلمك وطائري يحكّان خدَّي الآخر

مصير

وقد أخذتِني إلى حيث لا منبع أو مصبّ
لا حشرجة أو غوث
لا مفتتح أو نهاية
لا نقطة أو فاصلة
بل من الحرائق إلى الحرائق
من البركان إلى الزلزلة

من حقل شوفان (ڤان جوخ)
إلى ناي (موتسارت)
من عمياء (بروغل)
إلى جان هيبوتيرن (موديلياني)
من صرخة (مونش)
إلى غزالة (دالي) المحترقة
حيث نبيذك يركض في رأسي وعلى كتفيّ،
مثل أفعوانات مقدسة،
شارحاً حقولَ الكرومِ البضّة
الأقدامَ الدائخةَ لصبايا حلواتٍ رقصتْ على أرومته
ذات ضحى مغامر، خطِر
كالذي أنزلقُ فيه إلى يمامَتَيْ صدرك
المشغولتين بالطوفان الندفيّ
بالشرّ الأنعم من الحرير
بالمعركة اللدنة التي يوسوس في أحشائها نبيذٌ شيطانيّ
منتقمٌ، غاضبٌ، ناقمٌ على الصحارى
الصحارى ذات الذهب الأزرق
ذات الواحات المحجّلة
ذات المخالب التي تجرح المجرّات

نبيذ

أجرجر الكتبَ التي قرأتُ قبلكِ
من أرنبة أنفها
من خيشومها الصادق
إلى قطار الوداع
أكْسِرُ
كأي حصان لا يمكن أن يتعافى من الليل-
أحواض العارفين والمعلمين
ليندلق نبيذكِ في الصحارى
بعد أن عطشتْ زهرتي
وتهوّر لحني إليكِ
مرتاعاً بكِ عند السد
غائصاً بك إلى القيعان

موعد الجبل (1)

متُّ هناك، في أعلى الجبل، ولم يكن لي في الأصل حياة سوى موعد أو موعدين في مصباح عينيها الواسعتين. متّ فراشة تتقرى النور وتسعى إلى حتفها النزق، ولهذا لم يزد موتي على قرطين معلقين كرحيق أو حريق في أذنيها اللذيذتين، ولم يتعدّ موتي ذلك الغرقَ الناعمَ المصلوبَ بين ناهديها الطافرين بالسر واليُتم والقداسة

لم أكن أكترث بالفوق والتحت، بالبعد والقرب؛ لأن موتي صار يتكاثر في كل الجهات بقدر ما كان وجهها يتحرك، ينتصب، يومئ، يتدلى، يشير، يطلع من كل الجهات. وقد متُّ حقيقة واستعارة، واقعاً وتخييلا، لكنّني كنتُ أنخلع من رقدتي المقدرة عليّ، وصرتُ أعجبُ كيف أنني كنتُ وما أزال أقف مثل شجرة زرقاء باسقة في طريق الروائح المسكرة والطلع القديم والأريج الخافت المنبعث من طغيان حضورها الخارق، حتّى صرتُ لا أفرق بين حياتي وموتي، تاركاً خلفي حطام العالم الذي كنتُ أكرهه وأحقد عليه من قبل، مقبلاً في طيش غريب جهة عالم مرهف محبوب يولد الآن في أصابعي وأطرافي، جهة عالم يخترقني بينابيعه وسهامه الرشيقة، عالم أتذوق صباباته، واقفاً مثل وعلٍ ثملٍ على ذراه

موعد الجبل (2)

بعد أن هبطتُ من موعد الجبال: لم أعد أكترث بالإقامة أو المنفى، بحبيبتي التي تنتظر أو النائمة في قلب الغدران، بالصبر المتفتت المنسحق أو قفزة النمر البريّ لاصطياد العدم، لم أعد في الفوق أو التحت، لم أعد هنا أو هنالك؛ ذلك لأن أشواقي تتقدمني، وأمواج البحر تتلاطم مثل كبرياء محطم أو سماوات صاعدة، أشواقي التي تَعِدني بالسَّكْرة الأصيلة المندلعة، بالرقصة التي تكنز البذور والمرج، بالقُبلة الشهويّة التي لا حياة بعدها ولا موت، بالطرقات النزقة التي أكرع من دنانها ربيعي العاري، طريقي الساهر في خاصرة النجمة وبريد الأشجار

غفوة تحت شجرة الحب

غافية تحت شجرة الحب
أحوم حول نهديك العاريين
فراشة مسحورة
نحلة مشدودة إلى الرحيق
موعدها
في العري الناصع
في اللحظة الدائخة،
في الشبق المرقطّ الذي يكمن نيراناً مفاجئة،
في المعادن الخفيفة المطّايرة التي تجول بيني وبينك،
في زهرتك الوحشية
التي تفيض بالعسل
وتزلزل المدينة

عيدٌ عدميّ

في نُواسِ النهر
وفضّتِهِ المشجّرة
على إيقاع ألحانه الهيوليّة
لوحاتِهِ التي تُجَنِّنُ السماواتِ وتُرقِّص الأراضين
أمضي بجرّة نبيذي
إلى دَيركِ المُوارَبِ في خاصرة الغابات
مندلعاً بأشواقي
في قارِبِ قُبلتِكِ
في برقِ شفتيكِ
في موقدِ لسانِك
لكي لا أراني هناك
تمحوني نظرتك الناعسة
متحوّلاً في جذلِ العُشّاق
إلى عيدٍ
لم يُخلق بعد
في طريقه للسكرة الباذخة
ذات السبعين جناحا

قرصنة

كل السفن التي لا توصلني إلى لجتكِ
يحرقها قرصاني الشجاع،
كل وصولٍ إلى غير ساحلك
أنتزعه من خاصرتي
وأقذفه في موج البحر،
كل جهة لا تدلّ على اسمِكِ أو على صفتكِ
أغلق عينيَّ
عن خطّافاتها المسمَّمة
لكي تخرّ في الهاوية
المنخلعة من كل الجهات

قبلات مختَلَسة

في شفة الحانة،
في ريق الطريق،
في ولع العربة:
كانت قبلاتنا المختلَسة

في شهوة القمر
في سكرة البئر
في رِقة اللحظة:
كانت قبلاتنا المختلسة

في ضوع نحرك
في هجمة ياسمينك
في صرخة نهدك:
كانت قبلاتنا المختلسة

إدمان

قلبي يُصلِّي في معصمك الصغير
في جيدك الذي يأوي الغزالة
في خصرك الذي حبلت به شجرة مانغو اليتامى
في نهدك الذي يلثغ بالمطر والياسمين
في ظهرك المُوْثَقُ بالحديقة
في شفتيك المكنوزتين بالنبيذ
في خدّك الذي يستظل به كوني الحائر
في صوتك الصياد الذي تدفئني مزاميره الغامضة
في ريفك الذي تقتلني مروجه السُمْر
في مدينتك التي تأكل رأسي بالحبّ والمواعيد

تحوّل

غلبت كثرةُ ألمِكِ
قلةَ حيلتي
حتى تحولتُ إلى بيت مذعورٍ
من سُكانه
إلى قصر يرتعش من مجيء السلطان
إلى كرسيّ يحترق بلُبان العذاب
يا جريرتي المشتهاة
يا إثمي المخضلّ بالخوخ والعنب
يا موسيقاي الضالّة
التي مفاتيحها الغيوم
ونایاتها قلبي الساهر على شرفتك

غرام

ها قد اخترقني جرحُكِ،
ها قد نهبتني حُمّاكِ،
ها قد أطبقتْ عليّ
عصابة لصوصك المخمورة
من كل جانب

قُبلة متوحشة

أزهَرَ جرحُكِ النضرُ شجرةَ غيابي المحطمة
انتبهتْ مصابيحي إلى وجد الليل
وهو يخفق بشدة في النَّهَم الذي اسمه عشقُكِ
في الجُرف القاريّ الذي اسمه أنتِ
في شلال نحرك الأصهب الذي يصّاعد إلى جذره القمريّ
في نهدك الذي يتبختر كعندليب نزق في قلبي
في القُبلة المجرمة
التي امتصّت كلّ السموّ الذي في الأقمار
كلّ الجلال الذي في الثريّا
كلّ النكهات اللذيذة المندسّة في الحدائق
كل الأسرار الدبقة التي تخمرت في البحار
كل الأحبار السرمدية المدفونة في أجنحة طائرين
يستحمان في فردوس الجحيم

خلود

التهمتُكِ كُلكِ يا حبيبتي
ومع ذلك فإنّ أفواه جوعي تفحّ
على جسدك المشتعل بالعطر والأعاصير
سرقتُ خدّيكِ المترفين بالأعياد
ومع ذلك عليّ أن أفركهما بعطشي المنقوع في الضراوة
تعلقتُ بمغفرة نهديك المقدسين
ومع ذلك ثمة جرائر شهوية تطير بي في حانتك

كدّستُ ذهب ظهرك في عينيّ وأصابعي
ومع ذلك فلا بد لي أن أتفتت وأنتشر في غبار طلعكِ
الناهضِ في كل عيدٍ
النائي عن أي مكيدة
توغلتُ في غابتك المتوحشة
ومع ذلك عليَّ أن أجنّح بها وبكِ إلى الذرى المشتعلة
أمطرتُ أصابعك وخاصرتيك وفخذيك بالقبلات المجنونة
غير أنه عليّ أن أخترع سلالم جديدة
تليق بهياج البحر وعُواء السماء

توددتُ إلى رحيق شفتيك بأرهف فنون الحبّ
ومع ذلك عليّ أن أقذفني في ريقك ولسانك وشفتيك
ببندقية الإله العتيق
الذي يُحصّن العشّاق
كي لا يخترمهم أيّ موت
أو كي يجعلهم يخرون خاشعين
في الغيبوبة المحكمة
كي لا يذوبوا على أيّ جليد دجّال
كي لا ينصهروا تحت أيّ شمس كاذبة

نشيد سكران

لستُ إلا
فراشة على معصمك
فاصلة في خلخالك الريفيّ
نقطة منذورة لأقمارك البعيدة
سطراً ممتداً إلى خاصرتك
طعنة نجلاء من كأسكِ الأصحم
ورقة غامضة في دفترك
رعشة ممزقة في كنزك الذي يحنو على الأفق
صحراء متضورة إلى مياهك
جوع أزليّ إلى فمك وأسوارك
إلى أريافك ومدائنك
أفواهُ ذئابٍ مشردةٍ، تعوي في شهوة أقمارك، في سَكْرة نشيدك الذي
من كستناء ولوز، في منجل عينيك الذي يبرق بالغواية والطوفان

حانة القراصنة

القمر يسطع في الأعالي
يدغدغ ألحاناً ضائعة
- لابن المعتزّ وإسرافيل وابن زيدون وآرتور رامبو -
بينما أنا وحبيبتي مشغولان بالترّهات العسلية
بالنبيذ السكران
الذي انفجرتْ لذاذاته في صحّة العشّاق
الذين صهرتهم المحن
وغشّاهم الضباب
- في مانيلا وتبليسي، في الجوف وتبوك، في الدوحة والمنامة، في سيلان والشارقة، في مسقط والدار البيضاء، في دمشق والجزر النائية، في الشرق الحزين والغرب الذي ينقر نافذته غُراب إدغار آلن پو-
وكمن يقبض على الروح الأولى
كنّا طفلين يلثغان بأسماء الندلة ومباذل الموج
محدّرَيْن بأعيننا
ذلك الكنز اللامرئيّ
المنسرب في كلّ الجهات
بين أصابعنا الولهى

***

لا بدّ أنّ القراصنة مرّوا هنا
وأنا وحبيبتي قد كتبناهم،
اسماً اسماً، قبّعة قبّعة، طائراً طائرا،
على دفتر العشق

سَفَراً في المصباح الدمث
الذي يعضّ ألسنة الظلام
سَفَراً في الفاكهة الحلوة
التي تترنّح في فم الأبدية

***

ها قد اختفى القمر فجأة من الأعالي
مُنسَلاً من هناك إلى جسدينا المرتعشين
ملقياً بكلّ ما فيه من برق باذخ ومن أشواق ندفيّة،
من بخور وحَبّهان،
من ياسمين وحبق،
في قلبينا الذاهلين،
في حضورنا الأزرق،
عائدَيْنِ من حانة القراصنة
كمدينتين تتبادلان الأنخاب
لائذَيْن بالعشّ الأوّل
بالشوق، الذي نعصره قطرة قطرة،
ضحكة ضحكة،
ألماً ألما،
مخضَّلَيْن بالقمر الغائب
في الجسدين الراعفين بالرغبة
مثل غابتين تشتعلان الآن
بألحان المطر الطائشة

نعرف ما يحدث
ما يحدث في رعشة اللغة
في كنز اللهفات المجنونة

ارتجافة

أنتِ وأنا،
نعرف ما يحدث تحت أقدامنا،
ما يحدث في رعشة اللغة
في كنز اللهفات المجنونة

لكن لا أحد يعرف ما يحدث
-لا أنتِ، ولا أنا-
كيف يذهب الكأسُ إلى الحرائق العاوية
اللحنُ إلى الغابة المطهّمة بالشحارير
الزنابقُ إلى لونها الدائخ
قلبي إلى قلبك
سُلّمي إلى سلالمك المطهمة بالنبيذ
قاربي إلى سفرك
ذي الشمس البرتقالية

***

ها هو الشِّعرُ يهوي متضرّعاً يأكل أصابعك بنهم
ها هي الظلالُ المترنحة التي تلتفّ على خاصرتك، فيرقص البحر
ها هو الشلال الفضيّ الذي يحضنك
فترتجف المدينة
ها هو الليل الذي يسكر في كلماتك
وها أنا
صريعاً، منطرحاً في غابة
أهدابك الناعسة

حُلمٌ يأكلني

تقفُ هناك
ناراً موقدة في يخضور الأعشاب
سلالمَ تملصتْ بخفّة من فكرة الجاذبية

تقفُ هناك،
حيث النسيم يلفح وجهها؛ الكنز
في محطة قطار الكلمات
لطفٌ خارقٌ يشمخ
ظلُّ زهرةٍ مثابرةٍ على كَسْرِ الضجيج
بالعمل المرهف

حلمٌ يأكلني

حلمٌ يخترق قلبي

متعسفاً بالحنان والربيع

***

تقفُ هناك

كأن البحر يقذفني في مرماه

حكايةً غابرةً من ملح

من سرابٍ فضيّ

وأنا مجرد رعشة

مجرد فراشة مرّت قليلا

على زهرة منخطفة

في عينيها الحائرتين

مجرد قمرٍ أتدحرج على ركبتيها

مجرد نجمةٍ تفرك أشواقها بالصيف والربيع

مجرد مطر يتيم

ينتظر وراء بابها الموارَب

آهةً قذفت نفسها

في دخيلة الساكسفون

جُرحٌ يبرق في قلبي

جرحٌ يبرق في قلبي،
قمرٌ من شبقٍ وأعاصير
يتضرّم في الأرياف
يتلظّى في طرقات المدينة
فتاة حلوة
تنهبني
تذروني مثل رذاذٍ فضيّ في سرّ الشمس
أغبطُ نفْسي وأقَبِّلني
لأنني نهر
لأنني موسيقا
لأنّ النعمة فاضتْ
في وجد الليل
ومواعيد الصفصاف

أكرع برهاناتها النبيذية
التي سطعت؛ تسطع
في حقلي العطشان
في الأمس،
وفي الغد،
وفي الآن السكران

صباح خالد

بعيداً عن صندوق پاندورا، عن كعب أخيل، عن جبال الأولمپ، عن الشعراء الرومانسيين، عن المدن ذات الأفخاذ الشبقة، عن القرى التي تبتسم قبالتك دون أي فضيحة أو رماد، عن الحشيش والڤودكا والقمر والإسطبل، عن الأصدقاء اليتامى، عن الكلب الذي ينبح حذائي الموسوِس، عن المتنبي وعن قصائد النثر:
كانت امرأة ما، في عليائها،

تدلّي رأسَها من الدور الثالث عشر
تحاول أن تدلّني على الطريق
كي أنعطف يميناً
لكنني مثل أيّ شهوة صباحية ضالّة
مداهماً الطرقات بحذاء القرصان
مصغياً إلى الأرصفة
وهي تتلاسن في صمتٍ مُريع
كنتُ لا أسمع شيئاً يخترقني من السموات
كنتُ لا أصغي إلا إلى شتائي القارس
إلى معضلتي الخالدة

إلى الأمام الضائع المدمدم
إلى البقعة الشريدة المنسيّة
إلى أخباري المبقّعة،
المتناثرة بين حقيبتي التي على الظهر
ومقلاعي
المسافر أبعد من أي رأس أو خارطة!

حادثة سطو

في رحلة انتظار موعدنا القادم
خبّأتُ لكِ في قبو قلبي
زجاجتيْ نبيذ
زجاجتين رجراجتين
مثل نهديك المترعين بالقمح والعسل والزبيب،
كثيراً ما كنتُ أتضور عطشاً في الليالي المدلهمة
وفي النهارات الغبراء

لكنني لم أكن لأجرؤ على فضّ ختميهما المقدسين
لأنهما تخفقان بسيرة القطار الضارب على سكة العظام
لأنهما تسوّفان القرصنة الوشيكة لأحدنا في أوقيانوس الآخر.
هذه الليلة، تسلقتُ جدار اللهفة
جدار الكرز والحدائق الملتاعة
سطوتُ على إحدى الزجاجتين يا حبيبتي
مقسماً بكل آلهة الخمر أنني لا بد أن أكسر الانتظار نصفين:
نصف في شمال الكرة الأرضية العاشق
ونصف في جنوبها المعشوق،
نصف في شمالها المجنون،
ونصف في جنوبها اليتيم،
نصف في مدار استوائك على عرشي،
ونصف في مدار استوائي على جمرتك
ولهذا لن يجرؤ أيّ شاعر ملعون
على القول بأنها حادثة سطو
حين القُبلة تُناغي القبلة
وحين يدك تُقاسم يدي خبزة ساخنة
طالعة للتوّ
من فجركِ المُعذِّب

هدايا مسمَّمة

مرحى لكِ!، هنيئاً لهداياكِ التي وضعتِها لي على طاولة رحيلك!. ها أنذا أكرع من هذا الكأس الرومانيّ النادر، المفعم بالحَبَب والفجيعة، حيث الأسى يتقطّر ويتقاطر بين شفتيّ وشدقيّ، وحيث منخراي تسعطهما أنوارٌ مغبرّة وأنبذة مهلكة

ها قد تركتِ لي على الطاولة ساعة أوقّتُ بها موعدَ ارتطامِ لحني بنيزك الزوال المعدنيّ، وأعَيّن بها مواقيت العسف القادمة، مثخناً بالموت الأسود والرقدة الصريعة

ها قد تركتِ لي أيضاً بوصلة أشجار العذاب، التي ما إن أشرع في التهام أوراق غصونها كمجنون يسيل لعابه لنداء الغزالة، حتّى تبدأ مناشير الروح بتقطيع أوردتي وشراييني القاعية على شرفة الموج، وما إن أحتضنُ جذوعَها السريّة الغامضة حتّى يتحرّرَ أزرقي من اجتراء المسافات وخثارة الأزمنة

ها أنتِ تشيرين لي أنني أقرَبُ إليكِ مما كنته قبلئذ وأنني في اللحاء المسموم الذي يقتل الفصل ويُجَبِّرُ عظم الغرام. ها قد تركتِ لي أيضاً على طاولة رحيلك رسالة أنيقة تقولين لي فيها بأنكِ لن تعودي مرّة أخرى إلا في نُعاسي وحُلمي، وأنني قد أصادفكِ على عتبة مدينة أخرى، أو في نقرةٍ على قيثارة، أو زفرةٍ في ناي، أو ضربةٍ على بيانو

مرحى لي! هداياكِ كثيرة! هداياكِ لا تُحتمل! هداياكِ تفترسني، تماماً، كينبوع وجهك الذي أغنّي، كرحلةٍ أولى ابتلعتني ولم أشفَ من جنونها ولم أعد بعد من مسالكها المتقاطعة المظفرة.

أمرّ على خمر قريتك

شممتُ رائحتك وأنا أعبر الطريق مروراً ببلدتك الصغيرة. كان ياسمينك عاصفاً ووردك الجوريّ ينوس بحناناته الرهيفة. قريتُكِ الصغيرةُ يا حبيبتي هي أنتِ، وعلى مشارفها تتمرأى عيناكِ العسليتان، وعلى أديم طميها أقبِّل بخشوعٍ ركبتيكِ وغنج سُرّتك الكتوم

اسمُكِ مرفوعٌ على لوحة بلدتك الصغيرة، اسمكِ هو تلك القرية المتدثرة بالنعومة والدفء، وأنا منهمك بقراءة اسم قريتك، أعني قراءتك أنتِ، قراءة حروف اسمك الشهيّ الذي يقتلني برصاصة السخاء اللغويّ، بالمِنَح الرعوية، والأيقونات المقدسة في القلب، باللهفات الطازجة التي تحاذي رأسي وتُسْكِر رئتيّ المجنونتين بنشيدكِ المواظب على السوسن والربيع

بلدتك الصغيرة ترتفع إلى الحلم؛ إذ لا يمكن أن تكون هذه الأشبار المعدودة، هذه المسافات التي تتكاثف وتتشاسع، هذه الجبال الندفية التي تقطر الساحرات، غير موسيقا مضمرة في شهوة الكون، غير لحن شريد يتسامق في قبة العالم، يسلس القياد للنغمة الخالدة، للصوت الغامض الذي يفعل المغناطيس والجاذبية، للناي الذبيح، للكمان الأزرق

هو ذا أنا، كلّ لحظة أمرّ على ريفك، على بيادرك، على حقولك الثرّة. أمرّ على قريتك، على خدّ قريتك، على أنف قريتك، على نهد قريتك، على ركبتيْ قريتك، على عيني قريتك، على شعر قريتك، على نهر قريتك، على مجد قريتك، على عسل قريتك، على جبين قريتك، على قلب قريتك، على خاصرة قريتك، على جرح قريتك، على ذرى قريتك، على ظهيرة قريتك، على صباح قريتك، على قهوة قريتك، على خمر قريتك، على فردوسها الحارق. أمرّ عليها، عليكِ، كلّ لحظة، كلّ ثانية، كلّ طرفة عين، كلّ ولادة عصفور، كلّ تخلّق ابتسامة، أنتِ أيتها الرحلة المكتملة، الوافرة، التي لا ينقصها شيء، ولا تحتاج إلى شيء آخر. وها إني أصيخ السمع إلى ناقوس الظهيرة منتفضاً باسمك، مسبّحاً باسم طريقك المسكر، المشحون باللذائذ، المشحوذ بالبراري الوحشية، المباغِتِ كشظية من نار، الأكّال كجرح مُسْتَشْرٍ، كشوقٍ مستعر في زهرة القلب

في خمر صوتك

في كل جرح لا يندمل من قَنْد صوتك، في كل قُبلةٍ صاعدة في هواء صوتك، في كل إمبراطور لغويّ ساقط من عرش صوتك، في كل درويش يدندن على سلم صوتك، في كل رحلة نازفة من حبر صوتك، في كل منعرج من سهب صوتك، في كل أرنب بريّ يتخلق في خمر صوتك، في كل وادٍ سحيق من زمن صوتك، في كل فخ حميم مبارك

من صيد صوتك، في كل زنبقة موسوسة في أذن صوتك، في كل ريحانة مجنونة في سر صوتك، في كل وردة منهوبة من قرصان صوتك، في كل عطر يرتعش مذكياً أواره في قلب صوتك، في كل سنبلة قمح من ذهب صوتك، في كل ورقة يافعة من شجرة صوتك، في كل طمأنينة ناعسة على سرير صوتك، في كل ثورة تعبق بالشهوة والكبرياء من صيف صوتك، في كل رسالة مضمخة بالغنج والدلال من ولع صوتك، في كل عيد مسافر في قارب صوتك، في كل عروس منذورة إلى هيكل صوتك، في كل ليل مشرد في ليل صوتك، في كل نهار منبثق من وجد صوتك، في كل نهر عميق سادر في لوعة صوتك، في كل بحر مثابر على موجة صوتك، في كل سماء ملتاعة في أزرق صوتك، في كل أحمر يتلظى من جمرة صوتك، في كل أخضر منهمر من حديقة صوتك، في كل باب معتكف على ضفة صوتك، في كل نافذة أمينة على وجه صوتك، في كل سفر باذخ في قطار صوتك، في كل سكنى مكنونة في جذر صوتك، في كل حلم مجبول على لثغة صوتك، في كل قمر مولود على نبرة صوتك، في كل دَيْر دائخ في زهرة صوتك، في كل ألق مشحون بشهوة صوتك، في كل قصيدة منهارة في بريد صوتك:

أنا السكران؛ المبتهل؛ المتعلق بالأستار؛ الطائش في الرمز؛ العاري في اللوحة والصورة والأسماء؛ الماكث كزرافة تحترق أو ذئبٍ اندلعت النيران الوحشية في حنجرته المقمرة

صوتك الكمان الودود الذي يشعل المدينة

صوتُكِ:

الأنبل في كل العصور، الأنعم من الحرير، الأفتك في رمي البلاء، الأنجع في درء الأدواء، الأصدق في معانقة الشلال، الألطف في تأويل الزهرة

صوتُكِ:

الكمان الودود الذي يحرق المدينة، النسر الحلميّ الذي يخطف الجبال، البرق السعيد الذي يشحن الريف، الوسادة الحانية التي تسرق الرأس، المهد الأول الذي يبتلع الإشارة، الطيف القزحيّ الذي يخطف العيد، الورقة المثخنة بالرقة، الإشارة المحروسة بالأجراس، الجهات المحمولة في كف اللثغة، الألعاب المطمورة في فم الفستقة، الأنفاس المشروحة في جُرِح التينة، الزمردات المنسوجات في ولع الرمّانة، الكلمات المعدودات التي تنحت اللغة، الأحرف اليتيمة التي تكتب القيامة

صوتك الذي يجرفني إلى الحديقة

لا تمنحني أيها الصوت السريّ
أي بذرة زرقاء
في نداءك المنفجر.
لا تفتح لي، أيّها الصوت الذبّاح،
نهراً
أو كستناءً
أو كرة أرضية منشبة أشواقها في الأكوان والمجرات،
بل اجرفني بمحراثك الناعم،
في مزرعتك الهيولية،
في تربتك الطائشة
التي ترنّ فيها الخلاخيل
وتسكر بها القوافل

صوتكِ الحقيقة الأخيرة

لستَ أبداً أيها الصوتُ خمراً، لا نسيماً عليلاً، لا مهبط طائرات، لا مناطيد. لستَ جسراً للمقتولين من اللذة أو المسحوقين في رذاذ الفجر. لست أزرقَ أو أحمر أو وردياً أو لازوردياً. لستَ عسلاً ولا حليباً ولا جراداً بريا، لستَ كارثة حلوة أو سهبا مكدساً بالمواسم. لستَ أي شيء حلو، مسكر، منتقم، شهاء، مرتعش، حيّة جرسية أو قصيدة فطنة

أنتَ رحم كل الصور، أيها الصوت الخارق الذي يعيد ترميم الخليقة، الذي يصبّ وجد السفر على جرح اليُتْم

أنت الأول والآخر، البدء والختام، القُبلة والشفة، الحياة والموت، العذوبة والعذاب، الصبر والسأم، النداء الصارخ والصمت العميق، السماوات العُلى والأراضين الموارَبة، الفتنة الصقيلة كشظية، السهم الطائر إلى القلب، الصفحة البيضاء، الفاكهة الجليلة، الدرس الأول، الحقيقة الأخيرة

صوتك الذي أتسمّر على صليبه

أوّاه، كيف يتسنّى لي، أنا المتسمِّر على صليب صوتك، أن أتلذذ وأنفطر، أن أنفجر وأولد معا، أن أنجو وأغرق، أن أدخل كمسرح وأخرج كسينما، أن أجيء كعندليب وأرجع كنسر؟ كيف أرحل كبهلول وأمكث كهبنّقة؟ كيف أتعرى كقمر وأتزيّا كألعاب ناريّة؟ كيف أصِلُ تماماً وأبدأ الآن؟ كيف أفرغ كما لو أنني لا شيء وأمتلئ كأنني كل شيء؟، كيف أدور مثل درويش وأصفن مثل تمثال؟ كيف يجنني صوتُكِ فلا أعرف الفرق بين الشمس وإيكاروس، الجبل والقرصان، الذروة والهاوية، الطيران والسقوط، الفوق والتحت، الطفل الذي يرسل طائرته الورقية في الأعالي أو الكهل الذي يكنز حكمته في شهوة التراب؟

صوتك المكتنز بالألوهة

صوتكِ، صوتُكِ، الشَّرهُ المدرار الذي يغطيني، الحبر الذي يملأ أضلاعي، الشرّ النبيل كحصان يأكل بقوائمه الأرياف والأبدية، البئر المكتنزة بالرعب والحليب. صوتُكِ الينبوع الذي أتلقف منه عبوديتي، عبوديتي التي أقع فيها على حريتي. صوتُكِ المرض الذي يُشفي والشفاء الذي- من هول العافية- يصيب أقدامي وصومعتي البعيدة

صوتُكِ الماكر كقندس معظّم ذي أجنحة مدرارة، صوتُكِ العريق مثل حانة تُغْرِقُ البحرَ، صوتُكِ الطافح بالزبرجد زفرة طفولية في المحشر، صوتُكِ المعتّق نبيذاً يتخطَّفني إلى حافة الأرياف المشحونة بالأعياد، صوتُكِ المحجّل يمامةً ضلت طريقها بعد الطوفان إلى دفتري النهم، بينما أمسِّد عنقها بنَسْري الغائب وأصابع النار

ضالعاً في اللحن القديم

[1]

هوتْ روحي
في منحدر شلال العشق
فابتدأ طيراني

[2]

نقطتي عارية
طبقي فارغ
عندها أمر السيد العشق
أن تتنزل قطرةٌ واحدةٌ في إنائي
قطرةٌ واحدةٌ كي لا أشبع من الظمأ
وكي تنمو شجرة ليلي الفارعة

[3]

الأشياء تتداعى
والأصدقاء يتفتحون وردة
في طريقهم إلى السكرة العظيمة
بينما كنتُ أغوي كأس العشق
أن تحبل بي
أن تلدني في الطريق إلى ثغرها

[4]

كنتُ أعمى المدينة
أقود الشهوات
إلى بؤبؤيها الصغيرين
محتفياً بالنور الساطع
الذي يسيل في أصابعي
وعلى أكتافي

[5]

كثيراً من الحقائق المطبوخة
كثيراً من الفرح الكذاب
كثيراً من الأقداح المنكسة الرأس
وأنا أعزل ويتيم
ضالعاً في اللحن القديم الذي يتبعني كغمامة
مكتفياً بزهرة رمّانك
التي تكتبني وترسم العالم

[6]

مجرد عصفور دائخ
معتصماً بغصن شجرتك من الطوفان
مجرد رعشة في جناح زيز
راقص فوق نبعك القتّال

[7]

عارياً أقف في منتصف الدرب
محتفياً بالتوت والعنب

مجنوناً يتقافز نبتة برية في حضن صخرة
ألحس النور المنسكب من الأعالي
ذاهلاً عن رأسي المتدحرج في شهوة الجَمال

[8]

لوحتك مستحيلة
لذا عليَّ أن أطلِّق الرسم
قصيدتك مستحيلة
لذا عليَّ أن أهجر الشعر
مستسلماً، غريقاً، مشحوناً بحنان غامض
عليه أن ينفجر في لذة المياه
يا قمري البارد في الظهيرة الهوجاء

[9]

بعد الآهة التي بقّعت قميصي بالعصافير
وشجّرتْ الكون بالصلوات
بعد الآهة المغناجة
التي اندلعتْ من شفتيك الكرزيتين
تخَطّفني شهابٌ أهوج
باغتني الصمت بأسطوله النّهم
محترقاً بين اللحن الباذخ
والتميمة التي تحرس الأرياف

[10]

كيف أرحل بعيداً عنك
وقد وجدتكِ في قلبي؟

كيف أطلع على هضبة الصحو
وقد شربت من خمر لسانك؟
كيف أعود إلى رشدي
وقد اشتبك الشتاء والصيف
في قُبلة واحدة؟

[11]

يا يمامتي الحلوة
أخشى عليك من بروق الغابات
ورعودها الممطرة.
النار تطقطق الدفء
والمائدة الصغيرة تنتظر

[12]

جذوة من لهبك
وأصغي إلى خبط أجنحتي
حثوة من أعيادك
وأسمع صدى النايات بين الوديان

[13]

كل هذه الجراح
أشعلتها وردتكِ
كل هذه الدماء النازفة في القلب
تسبّح باسم القَنْد الذي على شفتيكِ
كل هذه البراكين التي تمضي بي
حبلت بها ابتسامتكِ

التي انصهر فيها الأطفال

[14]

أتلذذ بسهمك المميت
برماحك المسمومة
أحضن خرائبي وأطلالي في جنتكِ
فقيراً ذا أسمال
وأنتِ النجمة التي تنظر نحوي من السماوات
مجنوناً بك
يا الرياح التي تقرع طبلي السكران

[15]

على جيدِكِ أموت، على جيدِكِ أولد
على نحرك أحمل طبشوري إلى اللوح المبارك
على فضة صدرك أسكر بالياسمين
على أديم تفاحك
أغيب في هواء الأعياد
على بيانو أصابعكِ
أتشرذمُ ندفَ نيرانٍ
إلى رقصة الينابيع

وحيدان هناك

[1]

السرّ يدفع السرّ
الوردة تسيل في وردتها
الجَرَس الخافت كحبٍّ غامض يقودنا إلى الفنار
الكوخ يرقِّشُ المعجزة
النار تقرفص في الحجاب الحاجز
الأفق يدندن لحناً يشبه البنفسج أو حبّتي تين
السماء تغمض عينيها الذاهلتين
الأصابع مفخخة بالرعشة والهذيان
الكبد حُمّى تركب الموج
اللسان يتأوه في الأبراج
الحنجرة تعزف لُعابها المفضوح
الأذن تسقط على ركبتها
الفم عواء الصيف
العين طائرة ورقية تلعب بها الريح
العنق تترنّح في حبة عنب
الخاصرة نايٌ يرتعد في جسد الوديان
الرأس أريكة مطّايرة

الكلام هلال معلق في سماء قلعة
اليد تكتب النشيد المرقّط
والليل يأكل عاشقين وحيدين
يلتحفان غيمة البرق المجنونة

[2]

ربّما كان من الأجدر أن نسمي الوحدة:
خضاب الكينونة الجذلة.
وأن نسمي الوحيدَيْن هناك:
جذرَيْن في الغيب.
وأن نعيد كتابة النصّ
كما لو كان النهر الأنثى يدفع النهر الذكر
حتّى يقعا في عناق صخّاب
حتى يلتحما في النهر الأوحد
في المحيط
الذي ليس بعده خمر
ليس بعده ذكورة أو أنوثة
ليس بعده قطعة شعرية
ليس بعده حياة
ليس بعده موت

لؤلؤة حارة في ضوء القمر

[1]

النبيذ قلعة في شفتيكِ

[2]

الياسمين كوخ في خاصرتكِ

[3]

الجلّنار نهر سيّالٌ يُرصِّع أرضك بالنجوم وسماءك بالدوخة

[4]

الزعفران

منثوراً كقصيدة على أريكتك

[5]

اليمامة تحتشد في بياضك

[6]

النمِرة تعزف بيانو

[7]

اللؤلؤة حارةً

تعوي في ضوء القمر

[8]

البلاغة محبَطة

تتدحرج عربتها من أعالي الجبال

[9]

لغتي تناهبها جسدكِ

كما يسطو قرصانٌ شهيٌّ على قافلة

[10]

جهزتُني قبالتك عبارة ناقصة

عبارةً كانت تدوخ،

حتفها بين القُبلة والرماد

[11]

يشتد الحبر

دون أن يبني حرفاً،

يكتظ دون أن يكتب لثغة،

يمرض وحيداً في تيه الصحراء وفي رعبها

[12]

أنا الراعي

الذي تأكله الأجراس

أنا أورفيوس الأعمى

وقد تحوّل إلى صِنج أو قيثارة

ولم يلتفت إلى أيّ صوب يا حبيبتي

[13]

براعتكِ انتفضتْ فراشة

تقودني إلى النبع

عسلكِ يستلّ قلبي

كي يقف طائر الحب

على كتف الشاعر

[14]

هالكٌ لا محالة أيها النور، أيتها النار

هالكٌ لا محالة أيها الشجر

الذي يرقص في نوتة الفردوس

وفي مزمار الجحيم

هالكٌ أيها الزمان

الذي يغسلني في مُرِّهِ ولبانِهِ آلاف المرات

وصرّتي وراء ظهري

وخبزتي حافية

[15]

ربّما لسنا، أنا وأنتِ، غير نُطفة

لمّا تزل تَخفق في رحم المجرة

[16]

ولكن ما إن همّ الصيّاد

حتّى طاش السهم إلى قلبه

ما إن اقترب

حتّى انهمر دمعة نجلاء

ورقصة غامضة

[17]

اللمسة تُجنِّن الورد

اللمسة توسوس كالذهب والأعياد

اللمسة الخفيفة تدبّ عارية في لحن الشرفة

في سوسن البراري
اللمسة التي بالكاد تشتعل
دون أن تهبط على شفة النار
التي كأنها شمعة تصلّي عزلاء في هيكل الليل
التي كأنها مرج يتحرق ويحترق
التي كأنها قطعة مرعبة في كنف البرق

[18]

أعمى يجتاز الدرب إلى آخره
دون أن يصل بعد إلى عينيه

[19]

ثمِلٌ يتقلّب في النبيذ
لوحة تطير في النسائم الحلوة
الشرق غربٌ
والغربُ أجنحة تتدله بالطيران

[20]

ماذا لو أكل هذا التفّاح؟
ماذا لو حصد كل هذا الحقلَ: السُمَّ؛ الترياقَ؛ البنفسج؟
ماذا لو اندلع البركان في حوضه؟
ماذا لو حجّت الرعشة في بئرها القديم؟
هكذا كان يتفتتُ
في طريقه جهة الإشارة النهمة
التي لا تشبع من السُّكْر والحرير

[21]

أوّاه مِن الصانع
الذي رصّ الزهرة في طمي الدلع
الذي خفق اللجة الصاعدة بالزّبَد المكنون
الذي مزج ظلال الياسمين بعسف الكريستال
الذي عجن فضة النافورة باللوز الأبديّ
الذي سكب لوتس القمر في موعد النجمة
الذي خَبَزَ القيامة بقشطة الأزل
الذي ارتعش، ثم ارتعد، ثم انتحب
وهو يعالج الليل في مجد الظهيرة

[22]

أنحني على فاكهتك كما لو أنني أحبل بسطوعها
على طريقك كما لو أنه سيلدني بعد قليل
على شجرتك المباركة كما لو أنني البذرة المجنونة
التي تسبّح في الأعالي

[23]

أنا البحّار الذي سفينته تحتفي بالغرق
وحباله تكتب الصعود إلى القيعان
أنا الدرويش الذي ما كاد يُصعقُ بزاويتك
حتى شهق في منتصف الحلقة

[24]

أنتِ الحُمّى الغائرة،
التي تقتلني حدودها البارزة والمطويّة
المنكفئة والمتوترة

المبسوطة والمضمومة

[25]

وليس إلاكِ

من مُضمَرٍ وهو يتجلى في فرط الطلع والمطالع

ومن غائب وهو ينتثر في جهاتي السبعين

[26]

وليس إلاكِ من جرح مستتر

يطفو على سُلّم الحنين

[27]

أنتِ

التي تشنين غارتكِ على قلبي الذبيح

فأولد على ضفتك

مصعوقاً بالفيزياء المغناجة

[28]

أنتِ

التي أحرثكِ يا أرضي

فيسيل حلقي بالأعناب

وأصابعي بالغواية

صالح العامري

من مواليد شناص (عُمان) 1965

صدرله:

مُراودات (1994) شعر (مسقط: دار الرؤيا).

خطّاط السهو (2001) شعر (القاهرة: دار ميريت).

مثل ينبوع معتكف في قلب الشاعر (2007) أنطولوجيا شعرية، منتخبات شعرية من عُمان (الجزائر).

سلالم صوب الولع (2011) شذرات وتأملات ومقالات ونصوص سردية (دمشق: دار نينوى).

ظِلٌّ يهوي معبّأً بالضحك؛ يليه؛ **وجه القُبلة** (2013) شعر (بيروت: دار الانتشار العربي).

بريد الغابة وحيوانات أخرى (2015) شعر (مسقط: بيت الغشّام للنشر والترجمة).

فرجار الراعي (2015) تفرسات في الشهوة والجرح والرذاذ والمشائين والأشجار الكثة (بيروت: دار الانتشار العربي).

منطاد دائخ (2020) شعر (الكويت: دار الفراشة للنشر والتوزيع).

أتبع وعل الشاعر (2020) نصوص (مسقط: دار نثر).

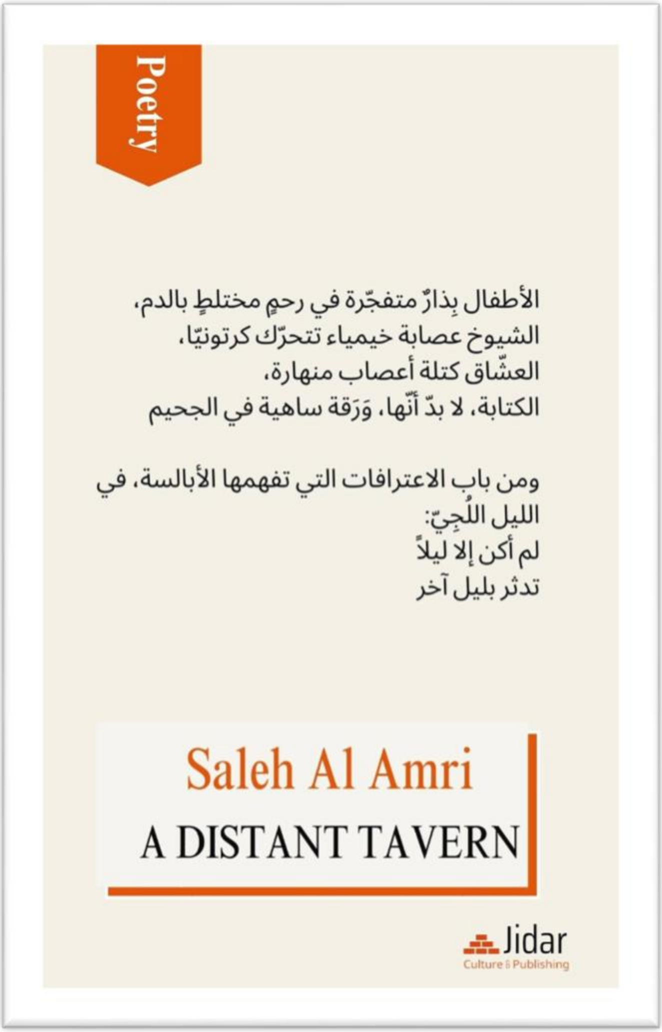
Poetry
الأطفال بِذارٌ متفجّرة في رحمٍ مختلطٍ بالدم،
الشيوخ عصابة خيمياء تتحرّك كرتونيّا،
العشّاق كتلة أعصاب منهارة،
الكتابة، لا بدّ أنّها، وَرَقة ساهية في الجحيم
ومن باب الاعترافات التي تفهمها الأبالسة، في
الليل اللُجِيّ:
لم أكن إلا ليلاً
تدثر بليل آخر
Saleh Al Amri
A DISTANT TAVERN
Jidar
Culture & Publishing